

العلاقات الروسية الجزائرية: بين البعد الطاقوي والتعاون العسكري

د. شريفة كلاع، أستاذة محاضرة "أ"

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية،

جامعة الجزائر 3، الجزائر

الملخص:

تعتبر الجزائر حلقة رئيسية في سياسة روسيا المغاربية بل والإفريقية، ليس فقط نتيجة للاعتبارات الإيديولوجية القديمة التي تميز العلاقات الجزائرية - الروسية منذ استقلال الجزائر، بل تتعدى ذلك إلى العمل أيضا على تطوير المصالح الاقتصادية بالتركيز على ثلاث قطاعات رئيسية هي الطاقة (النفط والغاز)، والتعاون التقني في المجالات الصناعية والتنمية، والتعاون العسكري، وسنحاول في هذا البحث تبيان الإستراتيجية الروسية تجاه المنطقة العربية عموما والجزائر خصوصا والتي تسودها البراغماتية والنفعية، كما أن واقع العلاقات الروسية - الجزائرية محكوم بعدة أبعاد مرتبطة بميراث تاريخي، وشبكة حسابات جيوسياسية، طاقوية وعسكرية، وبالتالي هناك مصالح مشتركة بين الجزائر وروسيا تزيد من عمق التحالف الاستراتيجي، ولإحاطة بذلك سنقوم بالتركيز على النقاط التالية:

- أولا: سيمات الإستراتيجية الروسية.
- ثانيا: تاريخ العلاقات الجزائرية - الروسية.
- ثالثا: البعد الطاقوي في العلاقات الجزائرية - الروسية.
- رابعا: التعاون العسكري وصفقات التسليح.

الكلمات المفتاحية:

العلاقات الروسية الجزائرية - البعد الطاقوي - التعاون العسكري - الإستراتيجية - التحالف.

Abstract:

Algeria is a key link in the policy of the Maghreb and even African countries, not only because of the old ideological considerations that characterize Algerian-Russian relations since the independence of Algeria, but also to develop economic interests by focusing on three main sectors: energy (oil and gas) Technical cooperation in industrial and development fields, and military cooperation. The Russian-Algerian relations are governed by a number of dimensions linked to historical heritage and a network of geopolitical, military and military calculations, and thus there are common interests between Algeria and Russia that deepen the depth of the alliance Strategic plan, In order to understand this, we will focus on the following points:

1. the Russian strategy.
2. History of Algerian-Russian relations.
3. the energy dimension in Algerian-Russian relations.
4. Military cooperation and arms deals.

key words: Russian-Algerian relations - Energy dimension - Military cooperation - Strategy - Alliance.

مقدمة:

في أعقاب التطورات الإقليمية الكبيرة التي شهدتها المنطقة العربية، ولاسيما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وانتشار الوجود الغربي في مناطق جغرافية قريبة من الحدود الجنوبية لروسيا، ارتأت روسيا ضرورة أن تعيد فتح علاقاتها مع الدول العربية، خصوصا وأن هناك دولا كانت وما زالت تربطها علاقات تحالف وإرث تاريخي، لذلك عملت على تعزيز تقاربها مع هذه الدول، فبتقلد الرئيس "فلاديمير بوتين" سدة الحكم، تخلت السياسة الخارجية الروسية عن الاعتبارات الإيديولوجية، وأخذت في الاعتبار المصالح الاقتصادية في الدرجة الأولى، فكانت أول زيارة له لشمال إفريقيا في سنة 2006 وهو بذلك يكون أول رئيس روسي وطأت قدماه المنطقة العربية منذ أكثر من ربع قرن، زار فيها الجزائر طبقا لخريطة التحالفات الروسية أيام الحرب الباردة، وفي هذا الإطار تأتي زيارة الرئيس الروسي "بوتين" للجزائر تنويجا لمسيرة طويلة من التعاون بين الدولتين في شتى المجالات، وهي في جوهرها إعادة تأسيس لنمط تحالفات ما جعلها ترقى في العلاقات الدولية إلى "التحالف الاستراتيجي"، وهو ما عبر عنه "بوتين" أثناء تلك الزيارة بقوله: "إن روسيا قد أبرمت اتفاقية شراكة إستراتيجية، وأن المصالح والاهتمامات المشتركة هي الأساس في تطوير العلاقات الثنائية"، ويمكن القول أن هذا المسعى الحثيث لثمتين أو أواصر العلاقات قد حرصت عليه كل من الدولتين لتحقيق أهداف إستراتيجية بعيدة المدى تصب في صالح الأمن القومي لكليهما، فبالإضافة إلى صفقات التسليح والتعاون التقني تهتم كل من روسيا والجزائر بالتنسيق في مجال النفط والغاز، والتزود بالتكنولوجيا النووية وتعزيز التعاون الأمني في مكافحة الإرهاب وتكثيف المبادلات التجارية، وفي ظل هذه

الورقة البحثية سنحاول مناقشة التساؤلات الآتية: ما هو واقع العلاقات الروسية الجزائرية؟ وما هي أهم سمات الإستراتيجية الروسية؟ وهل يعد التعاون العسكري وصفقات السلاح أهم بعد في التعاون الروسي الجزائري؟ وبالتالي سوف نقسم دراستنا إلى المحاور التالية:

أولاً: سمات الإستراتيجية الروسية

بعد مرور مدة من الشكوك والتردد لدى القيادة في روسيا الاتحادية في المرحلة التي تلت تفكك الاتحاد السوفياتي، بسبب التوجهات الغربية لهذه القيادة¹ نجد أنه حل شيئاً فشيئاً في الأوساط الروسية المسؤولة داخل الكرملين نوع من الإجماع حول بحث فكرة التزام روسيا الاتحادية بـ "ضرورة حماية الشعوب الصغيرة ومساندتها في مواجهتها للغرب الناهب لثرواتها"، ولم يقتصر التحول عن التردد الذي عرفل لمدة ما اتخاذ القرار على القائمين على رأس السياسة الروسية، بل امتد إلى الصفوة الروسية بكامل اتجاهاتها، والتي كانت أكثر اهتماماً بعملية تحويل البلاد إلى نظام ليبرالي ديمقراطي، وبغض النظر عن ما تقدم، فإننا يمكن أن نرصد أهم سمات الإستراتيجية لروسيا الاتحادية في:

أ - **الواقعية:** تتسم الإستراتيجية الروسية بنوع من الواقعية من خلال سعيها إلى بناء سياسة براغماتية، عن طريق المزيد من التباعد عن الحجج الإيديولوجية - التي كان التحرك الدبلوماسي السوفياتي يقوم عليها في الماضي القريب - مع الإحلال محلها مبررات سياسية واقتصادية أكثر وضوحاً وتعبيراً عن تطلعات روسيا المستقبلية، وهو أمر يمكننا ملاحظته في الإعلان الذي قد ألقاه الرئيس "يلتسين" عشية تفكك الاتحاد السوفياتي أمام المؤتمر غير العادي لنواب الشعب (البرلمان الروسي) لجمهورية روسيا في أكتوبر 1991، فقد أعلن "يلتسين" بدء مرحلة جديدة يتلخص جوهرها من دعوة إعادة بناء الاشتراكية إلى دعوة إقامة بناء جديد، وقد تحقق النهج الواقعي أكثر بعد عام 1993²، ففي خطاب للرئيس "يلتسين" عشية انتخابات عام 1995 انتقد الدعوات التي أطلقها الشيوعيون لإعادة الاتحاد السوفياتي، وأضاف أن ما بنته بلاده من العلاقات الودية مع دول العالم سيتحول إلى مأساة في حالة مناقشة مثل هذه الأفكار، وأشار في خطابه إلى الإصلاحات السياسية التي قامت بها حكومته، والتي دعا فيها المواطنين إلى دعمها والتفكير في مستقبلها بقوله: "إننا لا نحتاج إلى ثورات جديدة بل إلى مزيد من حياة جديدة تتميز بالنظام والأمن"، صحيح أن "يلتسين" لم يذكر الشيوعيين صراحة، ولكنه دعا إلى الاعتبار بالنتائج التي قاد 70 عاماً من الدمار في تاريخ روسيا، ووصف بعض الأحزاب بأنها "تسعى لإعادة البلاد إلى ذلك

1 - لمى مضر الأمانة، الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، سلسلة أطروحات دكتوراه 73، مارس 2009)، ص.ص. 102 - 103.

2- نفس المرجع، ص.ص. 102 - 103.

الماضي المخيف"، وقد تبني "كوزيريف" ذلك النمط من التفكير في واحدة من محاولاته الأولى لتحديد الكيفية التي ينبغي لروسيا أن تتصرف بموجبها على المسرح الدولي، فلم يكن قد مر شهر على تفكك الاتحاد السوفياتي حين قال: "إننا بتخلينا عن الرسولية قد مهدنا الطريق للواقعية البراغماتية.. لقد أدركنا بسرعة أن الجيوبوليتيكا قد حلت محل الإيديولوجيا"، وقد أشار "يفغيني ساتانوفسكي"، مدير معهد الشرق الأوسط في موسكو تعليقا على توجهات روسيا لبيع أسلحة إلى سوريا، والتعاون النووي الروسي مع إيران التي تثير خلافات مع الولايات المتحدة وإسرائيل: "إن هذه السياسة هي سياسة واقعية ولم يعد هناك توق إلى الهيمنة الإيديولوجية"¹.

ب - براغماتية القيادة الروسية: نستطيع أن نعرف إلى طبيعة هذه القيادة من خلال استشفاف القيم الجديدة التي بدأت روسيا تعمل بها، إذ عمد رؤساء روسيا إلى إظهار وتأكيد قطع علاقات بلادهم بالماضي الشيوعي، والتخلي عن جميع ركائز الحرب الباردة، بما فيها الإيديولوجية الماركسية - اللينينية، فقاموا بتحجيم نشاط الحزب الشيوعي في روسيا، وفي هذا الصدد أشار أحد المحللين السياسيين بقوله: "لم يشهد التاريخ من قبل إمبراطورية تفوقعت دون حرب، دون ثروة، ودون غزو"، وهو يعود بأحد أسبابه إلى الطريق أو النهج الذي اتبعه "يلتسين" للوصول إلى هكذا نتيجة. فالاختلاف المهم الذي يمكن أن نلمسه بين "يلتسين" زمن سبقه من القادة هو في تبنيه قيما مختلفة عن قيم أسلافه، ويذكر الرئيس التشيكي "فاكلاف هافل": "لم يزل غورباتشوف أسير الشيوعية بينما حرر يلتسين نفسه من قيدها"، حيث شهدت التسعينيات في روسيا انقلابا عميقا في إستراتيجيتها، فكان أهم ما طرأ عليها من تغير هو التخلص النهائي من مبادئ الماركسية - اللينينية التي كانت تحكم تحرك النظام السوفياتي في هذا المجال، إذ حرص المسؤولون على إلغاء القسم الرابع من الدستور السوفياتي الذي كان ينص على المبادئ الإيديولوجية التي هيمنت على الإستراتيجية المتبعة، مثل ضرورة العمل من أجل دعم الاشتراكية الدولية ونصرتها.

وقد حافظ الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" على هذا الخط نفسه من حيث التوجهات العامة، وانعكاس أوضاع روسيا الراهنة على علاقاتها الخارجية، إذ يؤكد أن "روسيا تسعى إلى بناء استراتيجية تركز على الثبات والتنبؤ البراغماتية ذات المزايا المشتركة للطرفين، إن هذه السياسة هي سياسة ذات شفافية قصوى تأخذ باعتبارها المصالح المشروعة للدول الأخرى وتهدف على التوصل إلى قرارات مشتركة تخدم مصالح كل الأطراف". فعلى الرغم من تصريح الرئيس "بوتين" في أثناء خطابه السنوي إلى الأمة بأن تفكك الاتحاد السوفياتي كان أكبر كارثة جيوسياسية في القرن الماضي بالنسبة إلى الشعب الروسي، فإنه جدد النهج البراغماتي للدولة الروسية مؤكدا "إن روسيا يجب أن تتطور كدولة حرة وديمقراطية وإن الهدف

1 - لمى مضر الأمانة، مرجع سابق، ص. 104.

السياسي العقائدي الرئيسي هو تطوير روسيا كدولة حرة وديمقراطية"، وكذلك تأكيد الرئيس "بوتين" أكثر من مرة أنه "لكي يكون لك مكان تحت الشمس فلا بد أن تحتفظ بعلاقة جيدة مع الجميع"، وتستلزم هذه السياسة مبادرات عديدة كالدعوة إلى الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي وهم أعداء الأمس، والتعاون مع الولايات المتحدة عسكرياً وأمنياً، والسكوت عن وجود قواعد عسكرية غربية في دول الاتحاد السوفييتي السابق، فضلاً عن طلب الانضمام إلى رابطة العالم الإسلامي¹.

ج - ديناميكية (فاعلية) الإستراتيجية الروسية: وتبدو هذه الديناميكية واضحة من خلال ما يضمن بصورة أكثر جدية عدم العودة إلى الوراء منذ توارى عصر الإيديولوجيات المتصارعة على الساحة الدولية، أو غياب الإيديولوجية الشيوعية (الماركسية - اللينينية) على الأقل. وهنا يقف "يلتسين" وخليفته "بوتين" في نظر الغرب كحماة للخط الاستراتيجي الجديد الذي انتهجته روسيا في عصر العولمة وحرية الأسواق، إن الإصرار على وحدة تراب الاتحاد الروسي وعدم التفريط فيها، وإتباع مختلف الوسائل بما فيها القوة العسكرية لتأكيد هذه الوحدة، يمثلان دليلاً على فاعلية الإستراتيجية الروسية.

د - المنافسة الحرة: وضع هدف جديد للسياسة الروسية هو هدف المنافسة على الأسواق، إذ حل الدستور الجديد هدف المنافسة على الأسواق العالمية محل المواجهة الإيديولوجية. وقد جاء هذا التحول نتيجة اقتناع المسؤولين الروس باستحالة تولي قيادة الثورة الاشتراكية في العالم، باعتبار أن مهمة قيادة الثورة الاشتراكية العالمية كانت من سمات حقبة الحرب الباردة. ورغم أن تحقيق هذا الهدف لا يخلو من الصعوبات التي سرعان ما انعكست على الإستراتيجية الروسية، فإن ما استوجبه من إعادة ترتيب الأولويات كان يعكس خطط الإصلاحات البنوية الجديدة، وحركة الانفتاح المالي والاقتصادي على الخارج. وهنا يظهر الفارق بين الإستراتيجية الروسية الحالية وما كان متبعاً في الحقبة السوفييتية، فخلافاً للاتحاد السوفييتي، تفضل روسيا الاتحادية - ولأسباب اقتصادية بالدرجة الأولى - إرسال المزيد من الأسلحة إلى الدول التي تستطيع دفع ثمنها. ومن المفيد الإشارة هنا إلى بلوغ هذه الغاية تتطلب المزيد من الاستثمارات من جهة، والإصلاح البنوي للقاعدة الصناعية الروسية لرفع مستواها التنافسي من جهة أخرى².

هـ - حرية الحركة: إن تفكك الاتحاد السوفييتي ثم النظام الدولي الذي كان قائماً، لم ينجم عنه أو يصاحبه إملاء الشروط على روسيا التي استخلفتها في "شخصيتها القانونية والدولية" كما حصل إزاء القوى

1 - لمى مضر الأمانة، مرجع سابق، ص 104 - 105.

2 - نفس المرجع، ص 106.

الكبرى التي خسرت في حروب كبرى، كفرنسا مثلا في أثناء الحروب النابليونية، وألمانيا بين في الحربين العالميتين، أو اليابان في إثر الحرب العالمية الثانية، فلم تحدث أي هزيمة عسكرية بمعنى الكلمة تدعو إلى المرارة، وهذا يعني أن تفكك الاتحاد السوفياتي وظهور نظام دولي جديد لم يصاحبهما، فرض شروط على روسيا أو على مصالحها أو على حرية حركتها أو عناصر قوتها، فوضعها الجديد لم يجعلها - على الأقل - مجبرة على الانصياع إلى مواقف الدول الكبرى سواء داخل مجلس الأمن ضمن منظمة الأمم المتحدة، أو خارجه ضمن توجهات النظام الدولي الجديد. وهذا الأمر أعطاها قدرة على التحرك والتحدي والمعارضة لأي نمط جديد في العلاقات الدولية، وبما يتفق مع مصالحها، إذ يبحث الدور الروسي الآن على مرتبة الشريك في جميع المناطق التي يرى فيها مصالح استراتيجية له، وما يؤكد هذا الكلام توجهات "بريماكوف" عندما عين وزيرا للخارجية بدلا من "كوزيريف"، حيث قال: "إن الموقف الدولي يتطلب أن تكون روسيا ليس فقط قوة كبرى تاريخيا، ولكن قوة كبرى حقيقية"، ويضيف القول: "إن القابلية الروسية المحدودة لا تعد عقبة في قيامنا بدور فاعل، فالسياسة الروسية تستمد قوتها ليس على أساس الظروف الآنية بل على أساس المصادر الروسية الكامنة والضخمة، فروسيا ترفض هيمنة القطب الواحد تحت قيادة الولايات المتحدة في النظام الدولي الجديد".

و - المرونة: يمكننا أن نستشف ذلك من خلال ملاحظة الاختلاف في المفاهيم بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية بشأن مسألة الأمن العالمي وموقع المصالح الروسية منها. ففي حين ترى الولايات المتحدة مناطق العالم الحساسة على أنها جزء من النفوذ الغربي، وعلى الغرب تأمين الحماية اللازمة للمحافظة على الوضع السياسي القائم فيها، تؤيد روسيا الجهود الجماعية، والاقتراح الداعي إلى إشراك جميع أعضاء مجلس الأمن والأطراف المعنية لحل أي أزمة تنشأ في العالم، وهو أمر ناجم عن إدراك روسيا لضعف نفوذها في مواجهة الولايات المتحدة، مع رغبتها في تأكيد أهمية التحرك لتحقيق مصالحها الحيوية، الأمر الذي جعل روسيا تدعو إلى عقد اتفاقيات متعددة الأطراف، وهو موقف نستطيع أن نقول إنه يتصف بالمرونة ما دام يتطلع إلى أن يكون أحد الأطراف المشتركة في الاتفاقيات المقترحة، ونستطيع أن نتبين هذا الموقف الروسي من خلال التصريح الأتي لأحد المسؤولين الروس وفيه تشديد على أن "روسيا تعمل مع الأطراف الدولية الأخرى من أجل عدم خلق ضجة تؤدي إلى تأزم الوضع العالمي"، حيث يذكر "بريماكوف" وقوف روسيا ضد استخدام القوة ضد أي بلد كان إلا بقرار من الأمم المتحدة، وأن أعمال القوة التي تمارس بقرار دولة واحدة أو مجموعة دول هي أعمال مرفوضة، وأن روسيا تبذل كل جهودها لتفادي تصعيد أي توتر، إذ "إننا ندرك مكانة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم، ولكن هذا لا يعني إطلاقا بأن على روسيا تنفيذ دور التابع لها". ويدخل تحت باب المرونة الطريقة التي تعامل فيها الاتحاد الروسي مع المطالب الإقليمية لجواره الجديد (جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابقة)، وطريقة حل الخلافات

المادية، كما في وضع الإثنية الروسية من دول البلطيق، واقتسام أسطول البحر الأسود وقاعدته مع أوكرانيا، ومن هنا نفهم أيضا الموقف من توسع حلف شمال الأطلسي شرقا.

إن علاقات روسيا بهذه الدول تحكمها السياسة العامة التي تحكم مجمل علاقات روسيا بدول العالم، إذ من جهة نلاحظ اختفاء السعي الروسي إلى كسب هذا الحليف أو ذاك على أسس أيديولوجية، والتسليم بواقع النفوذ الغربي والأمريكي. لكن هذا لا يستبعد الحرص على دعم الأوضاع الموازية للمصالح الروسية، كما يتواصل السعي الروسي إلى تحقيق كسب على حساب هذا أو ذاك، وتحجيم خسارة هنا أو هناك¹.

ز - **علمية الإستراتيجية الروسية:** تتضح علمية الإستراتيجية الروسية من خلال إدراك القادة الروس الدور الأساسي للسلاح النووي في مستقبل الأمن القومي الروسي وتأكيدهم له، فقد نقلت وكالة أنباء "انترتاس" قول أحد كبار المسؤولين في الكرملين، بمناسبة انعقاد الدورة الأولى لمجلس الأمن القومي الروسي: "إن القوات النووية تشكل، وستبقى تشكل العنصر الأساسي لأمننا وقوتنا العسكرية". وهكذا فإن موقف الاتحاد الروسي من تصديق اتفاقية ستارت، والموقف من ميل الولايات المتحدة إلى التوسع في الفضاء الكوني تسليحيا، يمكن فهمه وتفسيره بإدراك روسيا الاستراتيجية للقدرات العلمية التي ينبغي توظيفها استراتيجيا².

ويمكن فهم السعي الروسي إلى إبراز دورها في حفظ الأمن والاستقرار في العالم على أكبر قدر من الفوائد الاقتصادية، من خلال تشجيع بعض الدول على عقد اتفاقيات أمنية مع روسيا، وما يترتب على هذه الاتفاقيات من صفقات أسلحة وتدريبات تقدمها روسيا إلى الدول المتعاقدة معها، وهو ما يعني حصول روسيا على العملات الصعبة التي هي بأمر الحاجة إليه. وقد استطاعت القوى الوطنية الروسية الضغط على الحكومة لإعادة النظر في توجهاتها الخارجية وفي علاقاتها بأصدقائها التقليديين³. فبوصول الرئيس "بوتين" إلى الحكم في ديسمبر 1999 كان بمثابة نقطة تحول في السياسة الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط، وبالأخص في الفترة الثانية من حكمه التي بدأت في عام 2004، إذ نجد أن موسكو بدأت تتقرب من الشرق الأوسط والدول العربية بأساليب جديدة، فقام الرئيس "بوتين" بزيارتين إلى المنطقة في عامي 2005 و2007، الأمر الذي ساهم في إعطاء انطباع بأن "الروس قادمون" وأن

1 - لمى مضر الأمانة، مرجع سابق، ص. 108.

2 - نفس المرجع، ص. 109.

3 - نفس المرجع، ص. 229 - 232.

محاولات إحياء الدور الروسي في المنطقة أمر لا مفر منه ولا يحتاج لجدال¹، ولا ينكر أحد أن الرئيس "بوتين" كان الأكثر جرأة واستعداداً لمواجهة الولايات المتحدة من سلفه "يلتسين"، ومع أن سلفه كان له اهتمام بالشرق الأوسط وأوفد إلى المنطقة أهم مبعوثي الدبلوماسية الروسية على الإطلاق "يفجينى برماكوف" حينما شغل منصب وزير خارجية ما بين 1996 إلى 1997، فإن "بوتين" زاد على سياسة "يلتسين" تجاه المنطقة من حيث درجة التفاعل مع بلدانه إلى جانب الجرأة على تحدي الوجود الأمريكي في المنطقة، لذا فمنذ انضمام الاتحاد السوفياتي شهدت السياسة الخارجية الروسية عملية إعادة هيكلة، أصبحت بمقتضاها أكثر واقعية تقيس تحركاتها واتجاهاتها بحجم ما تملكه من قوة، وبمقدار ما تحققه تلك التحركات والتوجهات من فائدة للمصالح الوطنية الروسية². ويمكن تحديد ثلاث مصالح كبرى وأساسية تحدد السلوك الروسي في منطقة الشرق الأوسط وحتى باقي الدول العربية وهي:

أولها: العمل على إتهام الولايات المتحدة استراتيجياً عن طريق مزاعمها في المنطقة وذلك عن

طريق استدراج الولايات المتحدة في أكثر من ساحة، وذلك نابع من إدراك روسيا بأنه حينما يأتي الوقت لإعادة حساب موازين القوى العالمية، وبرغم أن موسكو على إدراك تام بأنها لا تستطيع معادلة القوة العسكرية أو الاقتصادية الأمريكية في أي وقت قريب، فإنها مع ذلك ترفض أن تظل قوة عالمية من الفئة الثانية وتصر على ضرورة إعادة تشكيل ميزان القوى العالمي، وإحدى وسائلها إلى ذلك هي الإلهاء المستمر والمنهك للولايات المتحدة، وقد قامت روسيا في أوت 2008 بالإعلان على لسان قائد الأسطول الروسي الأدميرال "فلاديمير ماسورين" عن دراسة تقضي بإعادة الأسطول الروسي من جديد إلى البحر المتوسط مدعوماً بقاعدة عسكرية روسية مقرها سوريا. ومن ناحية أخرى فقد ساهمت الحرب الأمريكية على العراق، في ترسيخ نفوذ روسيا في المنطقة حيث يعد الكثير من المحللين أن هذه الحرب كانت بمثابة فرصة استراتيجية قدمت على طبق من فضة للروس، وذلك كان متزامناً مع زيادة النفوذ الإقليمي لإيران في المنطقة، وبالتالي أن كل انشغال أمريكي في المنطقة أصبح يمثل بالنسبة لواشنطن نافذة تفتتح على تورط جديد، بينما يمثل لموسكو نافذة تؤدي إلى فرصة يجب عدم تضييعها، وينطبق هذا على سبيل المثال الموقف الروسي من وصول حركة حماس إلى الحكم في الأراضي الفلسطينية، إذ بادرت روسيا إلى استقبال قيادات حماس على أراضيها في فيفري 2007 مبررة علاقتها بالحركة – التي تضعها واشنطن

1 - George Friedman, « Russia's: Window of Opportunity », Stratfor Global Intelligence:

http://www.stratfor.com/russias_window_opportunity, (21/3/2015).

2 - باسم راشد، المصالح المتقاربة: دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي، (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، سلسلة أوراق ع. 9، 2013)، ص 14 - 12.

في قائمة الإرهاب الدولي – على أساس أن قادتها، كما صرح وزير الدفاع الروسي "سيرجي إيفانوف": "أنهم قد وصلوا إلى الحكم من خلال انتخابات ديمقراطية حرة"¹.

أما المصلحة الثانية، فهي ترتبط بالمصالح الاقتصادية الروسية، ويمكن القول بأن روسيا في عهد الرئيس "بوتين" قد نجحت في التوفيق بين أهدافها الاقتصادية في المنطقة من ناحية ومصالحها الإستراتيجية، والمتعلقة بإنهاك الولايات المتحدة في المنطقة. وهنا تجدر الإشارة إلى أن طبيعة التعاملات مع المنطقة كانت مختلفة عن الفترة السابقة، والتي كانت تعتمد بالأساس على العنصر الإيديولوجي والذي كان يتغلب في معظم الأحيان على المنطق الاقتصادي، فكانت حصيلة مبيعات السلاح إلى حلفاءها تجرد أو تخفض أو حتى تلغى كليا، إلا أن هذه المرة اختلفت وتم التعامل وفقا لأسعار السوق العالمية، ونتيجة لتغليب روسيا للعنصر الاقتصادي على الدافع الإيديولوجي².

والمصلحة الثالثة أمنية حتمتها قواعد الجغرافيا والديموغرافيا، إذ مثلت مسألة الإسلام العابر للحدود والذي اقترن بفكرة الإرهاب منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت روسيا تزيد اهتمامها بمنطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية، والعمل على توسيع قاعدتها مع بلدان تلك المنطقة، وهو ما يدفع روسيا للاهتمام المتزايد بتلك المنطقة في الوقت الحالي، إن دققنا في المشهد خصوصا بعد ثورات الربيع العربي تحوفا من وصول شعلة تلك الانتفاضات إلى المحيط الحيوي لروسيا في ظل الصعود الإسلامي في الحكم الذي شهدته معظم دول الربيع العربي، وجدير بالذكر أنه لم يقتصر الأمر آنذاك على فتح قنوات بين أجهزة الاستخبارات الروسية ونظيراتها في بلدان الشرق الأوسط العربية، وإنما استطاعت روسيا توسيع علاقاتها مع بلدان المنطقة وتوقيع عدد من الاتفاقيات بشأن مكافحة الإرهاب³.

ثانيا: تاريخ العلاقات الجزائرية – الروسية

كان الاتحاد السوفياتي أول دولة في العالم تقيم علاقات دبلوماسية مع الجزائر المستقلة، وذلك في 23 مارس عام 1962، كما اعترفت الجزائر بروسيا الاتحادية رسميا في 26 ديسمبر عام 1991، وبعد أن تراجعت العلاقات العربية الروسية في فترة التسعينيات والتي كانت بمنأى عن قضايا المنطقة العربية،

1 – باسم راشد، مرجع سابق، ص 12 – 14.

2 – نفس المرجع، ص 12 – 14.

3 – نفس المرجع، ص 16 – 17.

4 – "العلاقات الروسية الجزائرية" نقلا عن:

http://ar.wikipedia.org/w/index.php?ti=العلاقات_الروسية_الجزائرية&action=edit§ion=1

أخذت تعمل على تفعيل دورها في المنطقة العربية بداية من حلفائها السابقين¹، فاستمرت الجزائر مثلما كانت منذ السنوات الأولى للاستقلال الحليف الأكبر لروسيا في منطقة المغرب العربي، ولم تغير نهاية الحرب الباردة من هذه العلاقة الخاصة شيئا، ومن هنا تبدو الجزائر حلقة رئيسية في سياسة موسكو المغربية، بل والإفريقية وهي بالإضافة لطابعها العسكري البارز ترتدي أبعادا أخرى سياسية واقتصادية لا تقل أهمية عنها بالنسبة لموسكو².

ففي أيام 3 – 6 أبريل عام 2001 قام الرئيس الجزائري "عبد العزيز بوتفليقة" بزيارة رسمية لروسيا الاتحادية، حيث تم في هذه الزيارة توقيع البيان حول الشراكة الإستراتيجية بين الدولتين، وفي 23 نوفمبر 2005 زار وزير الخارجية الروسي "سيرغي لافروف" الجزائر في إطار جولته في دول المغرب العربي، وفي 10 مارس عام 2006 قام الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" بزيارة رسمية للجزائر³، وتصدرت صفقة أسلحة ضخمة للمحادثات الثنائية التي أجراها مع نظيره الجزائري، شملت شراء 300 دبابة من طراز 90 أم بي تي أس، و84 طائرة مطاردة من طراز "سوخوي" و"ميغ" حيث تمت الصفقة نهائيا في سبتمبر 2006، وشملت الصفقة الضخمة التي تم التوقيع عليها أثناء زيارة "بوتين"، والتي بلغت قيمتها 5.7 مليار دولار ثمانية صواريخ أرض – جو من طراز "تونغوسكي" وتحديد 250 دبابة جزائرية من طراز "تي 27"، وعدد من الصواريخ المضادة للدبابات من طراز "ميتيس" و"كورت"، و300 دبابة من طراز "تي 90"، بالإضافة للقيام بأعمال صيانة للسفن الحربية الجزائرية روسية الصنع⁴.

وفي الفترة ما بين 18 و19 فيفري عام 2008، قام الرئيس الجزائري "بوتفليقة" بزيارة رسمية أخرى لروسيا الاتحادية⁵، ففي هذه الزيارة كانت العلاقات الثنائية هي المحور الرئيسي للمحادثات والتي وصفها الرئيسان بأنها تملك آفاقا واسعة لتطورها، وأكدت المصادر على أن اللقاء يهدف إلى الارتقاء بعلاقات البلدين، خاصة الاقتصادية والتجارية، وفي إطار مناقشة الرئيسين نشاط مجلس الأعمال الروسي الجزائري، دعا "بوتين" إلى تعزيز التعاون في مجال الطاقة، معبرا عن أمله في أن تتمتع الشركات الروسية بأفاق جيدة للعمل في الجزائر كتلك التي تتمتع بها نظيراتها الأوروبية، وقد كشف الرئيس الجزائري عن فوز شركة سكك الحديد الروسية بمناقصة إنشاء خطوط جديدة لسكك الحديد في الجزائر، كما تم التوقيع على اتفاق للتعاون في مجال النقل الجوي والبحري، وأشار "بوتفليقة" أن وجود الشركات الروسية في الجزائر قد

1 - راندا موسى، "العلاقات العربية - الروسية ما بعد الربيع العربي"، نقلا عن موقع رؤية تركية: <http://rouyaturkiyyah.com>، (2015/01/23).

2 - رشيد خشانة، "عودة موسكو بقوة إلى شمال إفريقيا في 2006"، نقلا عن موقع: www.swissinfo.ch، (30/02/2015).

3 - "العلاقات الروسية الجزائرية"، مرجع سابق.

4 - رشيد خشانة، مرجع سابق.

5 - "العلاقات الروسية الجزائرية"، مرجع سابق.

حقق نتائج إيجابية خاصة في مجال التنقيب والإنتاج، داعيا الشركات الروسية للاستثمار والشراكة في قطاعات النفط والغاز والنقل والمناجم والصحة، منوها إلى ما تتمتع به روسيا من خبرات في هذه المجالات¹.

فشهد حجم التبادل التجاري بين البلدين في عام 2008 ازديادا إذ بلغ 1342 مليون دولار، بما في ذلك كانت قيم الصادرات الروسية إلى الجزائر 1120.5 مليون دولار، وبين الصادرات الروسية الموردة إلى الجزائر الماكينات والمعدات ووسائل النقل بنسبة 63% والمعادن غير الحديدية ومنتجاتها بنسبة 8.5%، وفي الربع الأول من عام 2009 انخفض التصدير الروسي إلى الجزائر وبلغ قيمة 25.97 مليون دولار فقط أي أقل بمقدار تسعة أمثال بالمقارنة مع الفترة المماثلة لعام 2008، أما الاستيراد الروسي من الجزائر فبلغ قيمة 1.34 مليون دولار أما في عام 2010 فبلغ التبادل التجاري بين البلدين 1.176 مليار دولار²، وفي شهر جوان 2013 توجت أشغال الدورة السادسة للجنة المختلطة الجزائرية – الروسية بالتوقيع على محضر يلتزم فيه الجانبان بتعزيز التعاون الاقتصادي والتقني والعسكري، وتنص هذه الوثيقة التي وقعها وزير المالية الجزائري السابق "كريم جودي" ووزير الطاقة الروسي "ألكسندر نوفاك" على ترقية علاقات التعاون الثنائي وتسريع استكمال الاتفاقيات التي يتم إعدادها، وأكد "جودي" عقب اللقاء إن "أشغال هذه الدورة السادسة قد توجت بالنجاح" مضيفا أن أداة لمتابعة توصيات اللجنة المختلطة قد تم إنشاؤها فضلا عن إنشاء أفواج عمل قطاعية من أجل تجسيد تلك التوصيات، ومن جانبه أوضح "نوفاك" أن الجانبين قد توصلا أيضا إلى تسريع استكمال اتفاقين في مجال الاستخدام المدني للطاقة النووية والاستكشاف الفضائي لأغراض مدنية، كذلك كان التعاون بين الجزائر وروسيا اللتين تربطهما شراكة استراتيجية منذ عام 2001، قد شهد تعزيزا سنة 2010 من خلال التوقيع بمناسبة زيارة الرئيس الروسي "ديمتري مدفيديف" إلى الجزائر على ستة اتفاقيات في ميادين التقييس والدبلوماسية والاقتصاد والنقل البحري والطاقة³.

ثالثا: البعد الطاقوي في العلاقات الجزائرية – الروسية

لروسيا مصالح في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، فلها عدد من المشاريع والتي تنفذها شركة "بروم" وشركة السكك الحديدية الروسية وتجارة الأسلحة⁴، ومع مجيء "بوتين" تخلت السياسة الروسية في

1 - هلال الحارثي، "بوتين يبحث مع بوتفليقة تعزيز التعاون الثنائي: التعاون الاقتصادي الأبرز في المحادثات"، نقل عن: <http://www.alriyadh.com/3320307>، (2015/3/23).

2 - "العلاقات الروسية الجزائرية"، مرجع سابق.

3 - أسماء عبد الفتاح، "تاريخ طويل من التعاون العسكري الروسي الجزائري"، نقل عن: <http://elbadil.com/2013/06/26/166463/>، (2015/02/01).

4 - Dmitri Trenin، "Russia and the Winter of Revolutions in the Arab World":

<http://camegie.ru/2011/03/03/russia-and-winter-of-revolutions-in-arab-world/ct7t>, (04/02/2015).

شمال إفريقيا عن الاعتبارات الإيديولوجية، وأخذت في الاعتبار المصالح الاقتصادية في الدرجة الأولى طاويا نأائيا صفحة المحاور التي كانت تقسم المنطقة إلى "تقدميين" و"رجعيين"، ولو كان "نيكيتا خورتشوف" أو "ليونيد بريجنيف" محل "بوتين" الذي زار منطقة المغرب العربي في سنة 2006 (وهو أول رئيس روسي وطأت قدماه المنطقة منذ أكثر من ربع قرن)، لذهب إلى ليبيا ثم الجزائر طبقا لخريطة التحالفات الروسية أيام الحرب الباردة. أما بعدما تغيرت ملامح المنطقة فإنه فضل تجاهل ليبيا وركز على الجزائر والمغرب لأسباب براغماتية تتعلق بوزنها السكاني والاقتصادي والاستراتيجي في شمال إفريقيا¹.

وقد انتقل التنافس حول الطاقة إلى المنطقة، كما تُوثق ذلك دراسة "الغرب وروسيا في البحر الأبيض المتوسط" لـ ديريك لوتريك وجورجي إنغلبريخت"، فكان سعي الاتحاد الأوروبي لتتبع مصادر إمداداته من الطاقة، بالاعتماد على دول جنوب المتوسط الجزائر وليبيا" وفق منظومة الشراكة الأورو متوسطية، دفع هذا التحرك الأوروبي لتحرك روسي موازي، فتقدمت روسيا بعروض سخية "جدا" للجزائر وليبيا فعرضت التكامل مع شركة الغاز الجزائرية "سوناطراك"، وتقديم منح تجارية مغرية فعملت على خلق منظمات تجمعها في شراكة "اقتصادية - سياسية" مضاعفة بذلك الخطر الاستراتيجي لدى الدول الأوروبية من احتمال اتفاق الموردين والمزيدة في الأسعار بالنسبة للغاز الطبيعي، فحول ذلك المنطقة إلى سوق للتنافس المحموم، فتقدمت للدولة الجزائرية عروضاً مجزية يمكنها أن تغير رسم "خارطة الطاقة"، ومن شأنها أن تشكل ضغطاً كبيراً على دول الاتحاد الأوروبي².

فشهدت العاصمة الروسية موسكو اللقاء السابع بين الرئيس الجزائري "عبد العزيز بوتفليقة" والرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" عام 2008، والتي كانت العلاقات الثنائية هي المحور الرئيسي للمحادثات وخاصة منها الاقتصادية والتجارية، وفي إطار مناقشة الرئيسين نشاط مجلس الأعمال الروسي الجزائري، دعا "بوتين" إلى تعزيز التعاون في مجال الطاقة، معبرا عن أمله في أن تتمتع الشركات الروسية بأفاق جيدة للعمل في الجزائر كتلك التي تتمتع بها نظيراتها الأوروبية، وقد كشف الرئيس الجزائري عن فوز شركة سكك الحديد الروسية بمناقصة إنشاء خطوط جديدة لسكك الحديد بالجزائر، كما تم التوقيع على اتفاق للتعاون في مجال النقل الجوي والبحري، وأشار "بوتفليقة" أن وجود الشركات الروسية في الجزائر قد حقق نتائج ايجابية خاصة في مجالي التنقيب والإنتاج، داعياً الشركات الروسية للاستثمار والشراكة في قطاعات النفط والغاز والنقل والمناجم والصحة، منوها إلى ما تتمتع به روسيا من خبرات في هذه

1 - رشيد خشانة، "بعدها اخترق بوتين أسوار المغرب... روسيا تناور بالأسلحة والغاز لانتزاع موقع في شمال إفريقيا"، نقلا عن موقع: www.siironline.org، (2015/03/04).

2 - عمر البشير الترابي، "روسيا.. معركة المتوسط.. الطاقة والسلاح والفتنوة"، نقلا عن موقع مجلة العرب الدولية: <http://www.majalla.com/arb/author/omar-albachir>، (2015/03/13).

المجالات، كما تناول الجانبان مراحل تنفيذ الاتفاقات التي تم التوصل إليها خلال زيارة بوتين للجزائر عام 2006، وقد كان التعاون في قطاعي النفط والغاز أبرز الموضوعات المطروحة على طاولة المحادثات، إدراكا للدور الذي تؤديه الجزائر على الصعيد العالمي بصفة عامة والأوروبي بصفة خاصة ورغبة من روسيا في مواصلة التعاون في هذا المجال تحقيقا لأهداف استراتيجية الطاقة الروسية¹.

وفيما يتعلق بتأسيس تكتل للدول المصدرة للغاز، أشار الرئيس الجزائري "عبد العزيز بوتفليقة" في حديثه لوسائل الإعلام لدى وصوله موسكو، إلى وجود لجنة متخصصة لتبادل المعلومات حول هذا الموضوع من بين الدول المنتجة والمصدرة للغاز وأن بلاده تشارك فيها، موضحا أن مهمتها تقتصر على طرح جوانب وظروف عمل هذا التكتل، كما تطرق الرئيس للتعاون في مجال مكافحة الإرهاب وسبل التصدي للتطرف الديني والعربي، إلى جانب تعزيز الحوار السياسي بين البلدين، كما أشار الرئيس الجزائري في حديثه إلى وجود برنامج للتعاون التقني مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية للاستخدامات السلمية، وأن التعاون الروسي الجزائري في هذا المجال والذي بدأ منذ عام 2005 ما زال مستمرا².

إن استثمارات روسيا في الخارج تتزايد باستمرار في مجال النفط والغاز، ومن المقرر زيادة اقتناء الأصول في هذا المجال وتطويرها بالتعاون مع الجزائر - حسب تصريح "اليكسي ميللر" رئيس شركة غاز بروم الروسية - "نحن نخطط للمشاركة في المناقصات المقبلة التي أعلن عنها الجانب الجزائري (أثناء زيارة الرئيس الروسي "مدفيدف" للجزائر عام 2010)، ولدينا خطة لتوسيع نطاق العمل المشترك معها في مجال التنقيب والإنتاج"³. كما أبلغ رئيس منظمة الطاقة النووية الروسية (شركة "روساتوم" الحكومية) في تصريح له بأن "روساتوم" توفد خبراءها إلى الجزائر في مهمة استطلاع فرص تطوير التعاون مع الجزائر في مجال الطاقة النووية، كما وعدت حكومتها كلا من روسيا والجزائر في وقت سابق من خريف عام 2014، اتفاقية التعاون في الاستخدام السلمي للطاقة النووية، وتراعي هذه الاتفاقية إمكانية إنشاء محطة نووية لإنتاج الكهرباء في الجزائر، كما قال "سيرغي كيرينكو" المدير العام لشركة "روساتوم": "سيتوجه وفد كبير من خبراءنا إلى الجزائر في شهر نوفمبر 2015"، وحسب "كيرينكو" فإن الجزائر تخطط لتطوير قطاع الطاقة النووية، وتولي إمكانية إنشاء محطة نووية لإنتاج الكهرباء اهتماما خاصا⁴.

1 - هلال الحارثين مرجع سابق.

2 - نفس المرجع.

3 - "روسيا والجزائر تتحديان أوروبا الغربية"، نقلا عن موقع: <http://arabic.sputniknews.com>, (2015/02/01).

4 - "روسيا والجزائر: تطوير التعاون النووي"، نقلا عن: <http://arabic.sputniknews.com>, (2015/02/01).

ويضاف إلى هذا التعاون بين روسيا والجزائر، التعاون في مجال تكنولوجيا الفضاء، وذلك من خلال إطلاق أقمار صناعية للاتصالات والملاحة والاستشعار عن بعد بواسطة صواريخ روسية، إذا تم في هذا الإطار إطلاق القمر الصناعي الجزائري "ألسات -1" في شهر نوفمبر 2002¹، وجدير بالإشارة أن لروسيا دورا ملحوظا ومتزايدا في تنمية البنية الصناعية في العديد من الدول العربية وعلى رأسها الجزائر، فقامت بتحديث مجمع "الحجار" للحديد والصلب الموجود بشرق الجزائر، كما أن هناك العديد من المشروعات بين روسيا والجزائر والتي تعد نواة لتطوير التعاون في هذا المجال².

رابعا: التعاون العسكري وصفقات التسليح:

تحتل روسيا المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة في تصدير الأسلحة للعالم، وإذا كانت الولايات المتحدة توجه صادراتها مناصفة تقريبا بين الدول المتقدمة والنامية، فإن زبائن روسيا هم من الدول النامية وبنسبة تبلغ نحو 90%، ومن المفارقات في تجارة روسيا للسلاح في العالم العربي، أن نجاح تسويق السلاح يتوقف في جزء كبير منه على حملات تخويف الأطراف المتنازعة في العالم العربي، وتغذية الأطراف المتناحرة عبر وكالات المخابرات، ونجد روسيا (لا تتقن هذه الحملات كافية) تستفيد في تجارتها للسلاح من الجهود الكبيرة التي تقوم بها الولايات المتحدة في هذا الصدد. ويحتل العالم العربي المرتبة الثانية في محطات استقبال السلاح الروسي (بنسبة 15%) بعد الدول النامية الآسيوية التي تتلقى نحو 62% من إجمالي صادرات روسيا من السلاح، كما أن روسيا هي أكبر مورد للسلاح في إفريقيا³.

وبما أن الجيش الجزائري مجهز على نحو شبه كامل بالسلاح والعتاد الروسي، فهو بأمر الحاجة لإعادة التأهيل والتحديث، ولذلك فإن التعاون في المجال التقني العسكري أصبح ضرورة ملحة في وقتنا الراهن، إذ وقعت كلا من روسيا والجزائر أثناء زيارة الرئيس "بوتين" للجزائر في مارس من العام 2006 على صفقة سلاح بقيمة 7.5 مليار دولار، مقابل شطب الديون الجزائرية إلى روسيا، وتضمنت الصفقة حصول الجزائر على 36 مقاتلة حربية من طراز "ميغ 29 س.م.ت" و28 مقاتلة من طراز "سوخوي 30"، وكذلك 14 طائرة تدريب قتالي من طراز "ياك 130" إلى جانب 8 بطاريات دفاع جوي "إس - 300" ومضادات الدبابات "ميتيس" و"كورنيت"، و300 دبابة من طراز "تي - 90"، كما تم التوقيع

1 - نورهان الشيخ، "السياسة الروسية تجاه المنطقة بعد الثورات العربية: مصالح ثابتة ومعطيات جديدة"، نقلا عن موقع مركز الأهرام للدراسات: <http://www.siyassa.org.eg>، (2015/02/02).

2 - باسم راشد، مرجع سابق، ص 48 - 52.

3 - عاطف معتمد عبد الحميد، "روسيا والعرب.. أوان البراغمية ونهاية الإيديولوجيا"، تقييم حالة نقلا عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة: www.dohainstitute.org، ص 13.

على اتفاقية لتحديث 36 مقالة "ميج 29" كانت الجزائر قد اشترتها في التسعينيات من القرن الماضي من بيلاروسيا وأوكرانيا فضلا عن 250 دبابة من طراز "تي - 72". وتمثل القفزة النوعية في علاقات روسيا مع الجزائر وخاصة في ميدان التعاون العسكري، أن أثارت ردود فعل قوية من الجانب الفرنسي وازداد ذلك بصورة خاصة بعد وصول "نيكولا ساركوزي" لسدة الحكم، وتجدد الإشارة إلى أن فرنسا قامت على نحو نشيط بعرض مقاتلاتها من طراز "رافال" في منطقة المغرب العربي¹.

وكانت صحيفة "لوجين أندياندان Le Jeune Indépendant" الجزائرية قد كشفت شهر نوفمبر 2006 عن قيمة الصفقة، التي بلغت مليار دولار والتي قالت إنها تشمل 300 دبابة من طراز "90 أم بي تي أس" التي تتفوق على دبابة "ميركافا" الإسرائيلية، تتسلمها الجزائر قبل سنة 2011، وقد جرب الجيش الجزائري هذه الدبابة قبل التوقيع على الصفقة، التي تشمل أيضا تدريب العسكريين الجزائريين على قيادتها، كما شملت الصفقة أيضا القيام بأعمال صيانة للسفن الحربية الجزائرية الروسية الصنع، وبهذا المعنى استمرت الجزائر، مثلما كانت منذ السنوات الأولى للاستقلال، الحليف الأكبر لروسيا في منطقة المغرب العربي ولم تغير نهاية الحرب الباردة من هذه العلاقة الخاصة شيئا²، كما نقلت وكالة أنباء "إنترفاكس" في عام 2011 للأنباء الروسية عن "فيكتور كوماردين" النائب العام لشركة "روس أوبورون إكسبورت" التي تدير الصادرات الروسية من الأسلحة: أنه بالإضافة إلى اقتناء الأسلحة والمعدات العسكرية المصنعة "تطرح الجزائر اليوم مسألة نقل التكنولوجيا"، وقال "كوماردين" على هامش معرض "ماكس" للطيران الدولي الذي جرت فعالياته في "جوكوفسكي" بضواحي موسكو: "إن الجزائر تطرح اليوم قضية نقل التكنولوجيات وليس الاقتصار على شراء المنتجات الجاهزة"، وأضاف المسؤول الروسي أنه تم تشكيل فريق عمل مشترك خاص بالتعاون الصناعي بين روسيا والجزائر، مؤكدا أنه يجري تنفيذ كافة العقود التي وقعتها روسيا مع الجزائر في مجال التعاون العسكري - التقني، ولم يحدد "كوماردين" هذه العقود مقتصرًا على الإشارة إلى مواصلة العمل في مجال تصليح وصيانة السفن، وبيع المعدات البحرية، والأسلحة البرية ومنظومات الدفاع الجوي، ويعتبر الانتقال إلى التعاون في مجال تكنولوجيا الأسلحة محطة جديدة في التعاون العسكري بين البلدين، فالجزائر تعد من الزبائن الرئيسيين للصناعة الحربية الروسية، بدليل العقود التي أبرمت بقيمة عشرات الملايين من الدولارات، لكن مع التوجهات الجديدة للمؤسسة العسكرية

1 - "العلاقات الروسية الجزائرية"، مرجع سابق.

2 - رشيد خشانة، مرجع سابق.

الجزائرية لبناء صناعة حربية لسد الطلب المحلي، يجد الروس أنفسهم ملزمين بالاستجابة للطلبات الجزائرية أمام تراجع قائمة زبائنهم في مجال الأسلحة¹.

خاتمة واستنتاجات:

بوصول الرئيس الروسي الحالي "فلاديمير بوتين" إلى الحكم في ديسمبر 1999، كان بمثابة نقطة تحول في السياسة الروسية تجاه المنطقة العربية وشمال إفريقيا، وبالأخص في الفترة الثانية من حكمه التي بدأت في عام 2004، من خلال الزيارات التي قام بها إلى المنطقة في 2005 و 2007، الأمر الذي ساهم في إعطاء انطباع بأن "الروس قادمون" وأن هناك محاولات لإحياء الدور الروسي في المنطقة، ويمكن القول بأن روسيا في عهد "بوتين" قد نجحت في التوفيق بين أهدافها الاقتصادية من ناحية ومصالحها الإستراتيجية من ناحية أخرى، وقد استطاعت روسيا إعادة إطلاق علاقاتها مع حلفائها التقليديين في المنطقة العربية على أسس جديدة، فضلا عن أن مواقفها في العديد من القضايا الدولية والإقليمية والتي أصبحت أكثر وضوحا عما كان في السابق، ساعدها في ذلك وجود قيادة واعية ذات رؤية للأولويات الوطنية، ولديها القدرة على تنفيذها وإدارة تبعاتها بكفاءة اقتصادية مكنتها من تحقيق درجات متزايدة من الاستقلالية في سياستها الخارجية.

وعلى مدى السنوات العشر الماضية عملت القيادة في روسيا على التقرب من حلفائها التقليديين من الدول العربية وفي مقدمتها الجزائر، وقد استمرت هذه الأخيرة مثلما كانت في السنوات الأولى للاستقلال الحليف الأكبر لروسيا في منطقة المغرب العربي، ولم تتغير هذه العلاقة الخاصة، إذ ركزت روسيا على الجزائر لأسباب براغماتية تتعلق بوزنها السكاني والاقتصادي والاستراتيجي في شمال إفريقيا، وعلى هذا الأساس تبرز ملامح سياسة "بوتين" الجديدة في المنطقة والتي تركز على الجزائر بصفتها المؤثر في المشهد الإقليمي، ولكنها لا تقيم وزنا للاعتبارات الإيديولوجية القديمة بقدر ما تركز على تطوير المصالح الاقتصادية، فأصبح لها مصالح حقيقية تسعى للحفاظ عليها وتنميتها، كما تسعى كذلك إلى شراكة استراتيجية بالمعنى الاقتصادي والتقني ذات عائد تنموي حقيقي، وفي هذا الإطار ترتبط المصالح الروسية بثلاث قطاعات رئيسية هي: الطاقة (النفط والغاز)، والتعاون التقني في المجالات الصناعية والتنموية، والتعاون العسكري.

1 - أسماء عبد الفتاح، مرجع سابق.

ويحتل التعاون والتنسيق الروسي – الجزائري في مجال الطاقة قمة أولويات الدولتين، فقطاع الطاقة يمثل أحد المجالات التي تتلاقى فيها المصالح بين البلدين، وهو جوهر الشراكة الروسية – الجزائرية في المستقبل والدعامة الأساسية لها.

كما تملك روسيا التكنولوجيا والخبرة اللازمة في مجال الكشف والتنقيب عن البترول واستخراجه، وكذلك في مجال الصناعات البتروكيماويات، حيث تعد روسيا أكبر منتجي البتروكيماويات في العالم من خلال 15 شركة كبرى بفروعها المنتشرة في مختلف أنحاء العالم، وتعد الشركات الروسية وخاصة "لوك أويل" و"غاز بروم" من كبرى الشركات العالمية العاملة في مجال الطاقة، وهناك العديد من المشروعات التي تعد نواة للتعاون وتطويره بين الجزائر وروسيا في هذا المجال. وعلى الصعيد الاقتصادي تمثل الجزائر سوقا مهمة للصادرات الروسية من السلع الإستراتيجية والمعمرة، مثل الآلات والمعدات والأجهزة والشاحنات والحبوب.

- ✓ كذلك تسعى روسيا إلى تنشيط صادراتها من الأسلحة للجزائر، ليس من اعتبارات سياسية أو إيديولوجية، ولكن نظرا لما تمثله عوائدها من مورد مهم للدخل القومي الروسي.
- ✓ كذلك هناك آفاق رحبة للتعاون الروسي – الجزائري في مجالات الطاقة النووية وتكنولوجيا الفضاء وتطوير البنية الصناعية الجزائرية.
- ✓ لم تعد روسيا تتعاطى في صفقات التسليح فقط، وإنما أصبحت تهتم أيضا بالتنسيق الغازي وتزويد الجزائر بالتكنولوجيا النووية وتعزيز التعاون الأمني في مكافحة الإرهاب وتكثيف المبادلات التجارية. ومن هنا تبدو الجزائر حلقة رئيسية في سياسة موسكو المغاربية بل والإفريقية.
- ✓ لا يمكن إنكار أن الطرفين الروسي والجزائري في حاجة للتعاون فيما بينهما بصرف النظر عن تباين المصالح والأهواء الخاصة بأي منهما، فالطرف الروسي يمثل دون شك شريكا أساسيا للجزائر، كما أن هناك استجابة وإقبالا واضحا من جانب هذه الأخيرة للتعاون مع روسيا، وقد شهدت أزيد من العشر سنوات الماضية تطورا ملحوظا وإيجابيا في العلاقات الروسية – الجزائرية.

قائمة المراجع:

أ – باللغة العربية:

- 1 - أسماء عبد الفتاح، "تاريخ طويل من التعاون العسكري الروسي الجزائري"، نقلا عن: <http://elbadil.com/2013/06/26/166463/>، (2015/02/01).

- 2 - باسم راشد، المصالح المتقاربة: دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي، مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، الإسكندرية، سلسلة أوراق عدد 9، 2013.
- 3 - رشيد خشانة، "عودة موسكو بقوة إلى شمال إفريقيا في 2006"، نقلا عن موقع: www.swissinfo.ch, (30/02/2015)
- 4 - رشيد خشانة، "بعدهما اخترق بوتين أسوار المغرب... روسيا تناور بالأسلحة والغاز لانتزاع موقع في شمال إفريقيا"، نقلا عن موقع: www.siironline.org, (2015/03/04).
- 5 - راندا موسى، "العلاقات العربية - الروسية ما بعد الربيع العربي"، نقلا عن موقع رؤية تركية: <http://rouyaturkiyyah.com>, (2015/01/23).
- 6 - عاطف معتمد عبد الحميد، "روسيا والعرب.. أوان البراغمية ونهاية الإيديولوجيا"، تقييم حالة نقلا عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة: www.dohainstitute.org.
- 7 - عمر البشير الترابي، "روسيا.. معركة المتوسط.. الطاقة والسلاح والفيديو"، نقلا عن مجلة العرب الدولية:
- <http://www.majalla.com/arb/author/omar-albachir> ، (2015/03/13).
- 8 - لمى مضر الأمانة، الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، سلسلة أطروحات دكتوراه 73، آذار/ مارس 2009.
- 9 - نورهان الشيخ، "السياسة الروسية تجاه المنطقة بعد الثورات العربية: مصالح ثابتة ومعطيات جديدة"، نقلا عن موقع مركز الأهرام للدراسات: <http://www.siyassa.org.eg>, (2015/02/02).
- 10 - هلال الحارثي، "بوتين يبحث مع بوتفليقة تعزيز التعاون الثنائي: التعاون الاقتصادي الأبرز في المحادثات"، نقلا عن: <http://www.alriyadh.com/3320307>, (2015/3/23).
- 11 - "العلاقات الروسية الجزائرية" نقلا عن: <http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=&action=edit§ion=1>
- 12 - "روسيا والجزائر تتحديان أوروبا الغربية"، نقلا عن موقع: <http://arabic.sputniknews.com>, (2015/02/01).
- 13 - "روسيا والجزائر: تطوير التعاون النووي"، نقلا عن: <http://arabic.sputniknews.com>, (2015/02/01).

ب – باللغة الأجنبية:

14 – Dmitri Trenin, “Russia and the winter of Revolutions in the Arab World”:

<http://camegie.ru/2011/03/03/russia-and-winter-of-revolutions-in-arab-world/ct7t>,
(04/02/2015).

15 – George Friedman, « Russia’s: Window of Opportunity », Stratfor Global Intelligence:

[http:// www.stratfor.com/russias_window_opportunity](http://www.stratfor.com/russias_window_opportunity), (21/3/2015).